منشورات اتحاد
القاهرة
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

العرب وأوربا عبر عصور التاريخ

حصاد (٧)

ندوة
عقدها الاتحاد
بمقره فى القاهرة

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

أ .د. على محمد عوده الغامدى*

الرؤية الأوربية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى

من الحقائق المسلَّم بها أن الرؤية التى تحملها أمة من الأمم أو ملة من الملل إزاء الطرف الآخر هى التى تحدد- إلى حد بعيد- سياستها ومواقفها تجاهه . ولما كان عالم الإسلام هو أكبر كتلة واجهت أوربا فى العصور الوسطى فإن الرؤية الأوربية لذلك العالم هى التى رسمت سياسة أوربا ومواقفها إزاءه . على أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا لايعنى أن رأيًا أوربيًا عامًا ، تكوَّن تجاه العرب والإسلام فى القرون الوسطى الأوربية المبكرة - قبل عصر الحروب الصليبية . ذلك أن طبيعة المجتمع الأوربى فى تلك القرون ، وضعف وسائل الاتصال ، وانتشار الجهل فى أوربا ، حالت كلها دون احتكاك سائر الشعوب الأوربية بالعرب والإسلام . ولاريب أن ألوفًا لاحصر لها من عبيد الأرض والأقنان وسائر العامة، لاسيما فى المناطق الأوربية البعيدة عن مناطق الاحتكاك مع المسلمين ، عاشوا حياتهم دون أن يسمعوا بكلمة إسلام أو عرب. والمقصود بالرؤية فى هذا البحث هو ما عبر عنه رجال النخبة الأوربيون ، من رجال الدين والكتاب وغيرهم، ومن ارتحل منهم إلى الشرق أوكان

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى - بجامعة أم القرى- مكة المكرمة .

قريبا من مناطق الاحتكاك مع عالم الإسلام. والملاحظ أن تلك الآراء أخذت تتراكم وتنتشر عبر الزمن إلى أن أسهمت أخيراً مع عوامل أخرى فى إثارة الروح الصليبية واستمرارها فى أوربا ضد الإسلام والمسلمين.

ولامناص قبل عرض الرؤية الأوربية للعرب والإسلام فى العصور الوسطى من الإشارة إلى ما كان لبعض كتابات النصارى الشرقيين وبعض الكتاب البيزنطيين من أثر وصدى فى أوربا العصور الوسطى، حيث تُرجمت تلك الكتابات إلى اللغة اللاتينية، ولعبت دوراً هامًا فى تشكيل وجهة النظر الأوربية إزاء الإسلام والمسلمين. ومن أهم أولئك النصارى الشرقيين يوحنا الدمشقى (٥٥-١٣١هـ / ٦٧٥-٧٤٩م) وهو عربى نصرانى ، ولد وعاش فى العصر الأموى وتضلع فى اللاهوت ، وكتب كتبًا كثيرة ، ومن ضمنها جزء كتبه باللغة اليونانية بعنوان هرطقة الاسماعيليين "The Heresy of the Ismaelites" .

ويقصد بالإسماعيليين ، العرب من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وهذا الكتاب شديد الطعن ، اتهم فيه يوحنا الدمشقى العرب بالهرطقة والضلال والخرافة ، واعتبرهم فرقة مسيحية متهرطقة ، وزعم أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم- الذى يسميه موعمت Moamet- كان رسولاً زائفًا Pseudo- Prophet ، وأنه ادعى النبوة زمن الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) بعد أن قرأ العهد القديم والعهد الجديد، ثم تعلّم من راهب أريوسى، فتظاهر بالتقوى حتى استمال العرب إليه، وأخبرهم أنه تلقى كتابًا من السماء ، وقدم فيه تلك الشرائع السخيفة - على حد قوله- التى تسمى بالإسلام ، وزعم يوحنا الدمشقى أنه ليس للعرب دليل من الكتاب المقدس يثبت صدق نبيهم المزعوم [١]. ومن الواضح أن تلك الافتراءات الباطلة التى ساقها يوحنا الدمشقى فى كتابه ضد العرب والإسلام ونبى الإسلام صلى الله عليه وسلم، إنما كان يهدف منها الحيلولة بين النصارى فى بلاد الشام وبين اعتناق الإسلام ، حين رأى تسامح المسلمين مع أهل الذمة ودخول كثير من النصارى فى الإسلام، فلم يجد وسيلة لتثبيت النصارى على دينهم سوى اتهام الإسلام بالهرطقة لتشويهه فى نظر النصارى حتى لايقبلوا على اعتناقه. وقد انتشر هذا الكتاب فى بلاد الدولة البيزنطية واستخدمه الكتاب البيزنطيون فى هجماتهم الفكرية على الإسلام ثم ترجم إلى اللاتينية وأسهم فى صياغة الرؤية الأوربية تجاه العرب والإسلام طوال العصور الوسطى[٢].

ومن أسوأ من كتب من النصارى الشرقيين يهاجم الإسلام ونبى الإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم، نصرانى شرقى يدعى عبد المسيح بن إسحاق الكندى، يرجح غالبية المستشرقين أنه

كان نسطوريًا [٣]. وقد كتب عبد المسيح رسالته باللغة اليونانية على الأرجح فى أوائل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى [٤]. وصاغها على هيئة حوار أو جواب لصديق مسلم يدعى عبدالله بن اسماعيل الهاشمى ، زعم أنه دعاه إلى اعتناق الإسلام . ويهاجم عبد المسيح الكندى فى رسالته شريعة الإسلام ويستهزىء بها ويزعم- زوراً وبهتانًا - أنها شريعة الشيطان، وأنها مليئة بالعدوان والشرور، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم، الذى يسميه Macometus ، عندما مات، انتظره أصحابه ثلاثة أيام لينهض من بين الموتى فوجدوه جثة متعفنة ، ويزعم فى رسالته أنه يعقد مقارنة بين المسيح وحوارييه مثل سيمون وبولس وبطرس الذين دعوا إلى دينهم بنشر كلمة الإنجيل، و اظهار المعجزات كإشفاء المرضى، وبعث الموتى ، كدليل على صدق المسيحية، وعاشوا حياة نموذجية أدت إلى انتشار الدين المسيحى، بينما -بزعمه الباطل- ذهب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الحرب بغية السلب والنهب واغتصاب الزوجات والبنات ، ونشروا دينهم بحد السيف. ويهاجم لغة القرآن وينفى عنها سمات الجمال، ويزعم أنها لغة بربرية . ويزعم أن إنكار النبى محمد صلى الله عليه وسلم للوثنية لم يكن كاملاً ، ويشن الكاتب هجومًا قبيحا على سلوك النبى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ، ويستخدم عبارات بالغة الفحش والحطة ، حتى إن المستشرق سير وليم موير عندما قام بترجمة الرسالة إلى الإنجليزية ونشرها فى القرن التاسع عشر ، اضطر إلى حذف فقرات منها، وصرّح بأنه يعتبر تلك الفقرات المحذوفة صبيانية وغير سليمة وبذيئة وعدوانية وخاطئة بدرجة تتسم بالحماقة. وقد تُرجمت هذه الرسالة إلى اللاتينية ، وقامت بدور كبير فى صياغة وجهة النظر الأوربية تجاه الإسلام والمسلمين طوال العصور الوسطى [٥]. بل نجد أثر هذه الرسالة حتى فى العصور الحديثة عندما قامت إحدى الجمعيات التبشيرية وتُدعى Turkish Mission Aid Society بنشرها فى لندن سنة ١٨٨٠م ليستخدمها المبشرون كدليل- بزعمهم- على صدق المسيحية ودحض الإسلام [٦]. ومن الواضح أن عبد المسيح الكندى كان يستهدف من كتابة رسالته نفس هدف يوحنا الدمشقى ، وهو أن تظل رسالته المكتوبة باليونانية متداولة بين النصارى لتصبح أمامهم صورة بشعة مشوهة عن الإسلام، تتنافى مع الحقيقة ، حتى لايقبلوا على اعتناقه .

وعلى الرغم من أن أول ترجمة معروفة لرسالة الكندى إلى اللاتينية قد قام بها بطرس من طليطلة Peter of Toledo سنة ١١٤١م / ٥٣٥ هـ ونُقِّحت من قبل بطرس من بواتييه Poi-

tiers، فإن الشواهد من كتابات الأوربيين عن الإسلام تدل على أنهم عرفوا رسالة الكندى قبل هذا التاريخ [٨].

أما فى داخل الدولة البيزنطية نفسها فعندما أصدر الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م) مرسومه الشهير بتحطيم الأيقونات ومحو كل الصور الموجودة فى الكنائس المسيحية المنتشرة فى مصر والشام، باعتبار أن تلك الصور والتماثيل تشكل نوعًا من الوثنية [٩]، رد جرمانوس من القسطنطينية Germanus of Constantinpole بتأليف رسالة سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م يواجه بها أتباعه الأيقونيون التهمة الإسلامية لهم بالوثنية، باتهام المسلمين أنفسهم بالوثنية وأنهم يعبدون- بزعمه- حجراً غير ذى حياة داخل الصحراء يُدعى Chobar[١٠].

أما المؤرخ البيزنطى ثيوفانس Theophanis المُعتَرِف المتوفى سنة ٨١٧م / ٢٠٢هـ فهو أول بيزنطى يكتب بشكل مسهب عن العرب والإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن كتابته تتصف بالاضطراب والتشويه المتعمد حين تحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام ذلك أنه قدم العقيدة الإسلامية باعتبارها هرطقة . وأشار إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم نشأ يتيمًا فقيراً ثم اشتغل بتجارة السيدة خديجة رضى الله عنها، وأنه حصل على رضاها وتزوجها . وزعم أنه بتلك الطريقة استولى على إبلها وجميع أموالها. وزعم أنه خلال اشتغاله بتجارة السيدة خديجة جال فى بلاد الشام واختلط باليهود والنصارى وتعرف منهم على الكتب المقدسة. وزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعانى من مرض عصبى، وأنه اشتكى إلى زوجه خديجة أنه ظهر له ملك يدعى جبريل ، وأنه ارتعب عندما رآه ، وزعم ثيوفانس أنه كان ببلاد العرب راهب جرى نفيه إلى مكة بسبب كفره وأن خديجة ذهبت إليه وأخبرته بمعاناة زوجها، فأخبرها أن ذلك هو الملاك الذى يُرسل إلى النبيين. وزعم ثيوفانس أن خديجة صدقت كلام الراهب الكاذب فأخبرت نساء عشيرتها بأن زوجها نبى، ثم انتشر الخبر إلى الرجال فصدقه قريبه أبوبكر الذى جعله النبى محمد صلى الله عليه وسلم خليفته. وزعم ثيوفانس أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث يدعو إلى دينه سراً عشر سنوات، ثم انطلق هو وشيعته وفرضوا سيادتهم على يثرب ونشروا ملتهم بالحرب لمدة عشر سنوات، ذلك أن محمداً- على حد قوله - أخبر أصحابه أن من يقتل عدوه يدخل الجنة ومن سقط قتيلاً أمام عدوه دخل الجنة ، وأن الجنة مليئة بالملذات الجسدية كالخمر والنساء وأنهار من خمر ولبن

وعسل وأن الجنة مليئة بالمسرات الدائمة التى لاتنقطع .. وذكر ثيوفانس أن محمداً صلى الله عليه وسلم أمر أتباعه أن يعينوا بعضهم بعضًا وأن يعودوا المريض ويشفقوا على المسكين وأن ينصروا المظلوم (١١).

أما نيقتاس البيزنطى Nicetas of Byzantium الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فقد كتب مؤلفًا زعم أنه تفنيد للقرآن الكريم. ذلك أن الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث (٨٤٢ - ٨٦٧م / ٢٢٧-٢٥٤م) تلقى مقالتين من المسلمين تفندان مزاعم النصارى بأن لله جل وعلا ابن يشاركه فى أسمائه وصفاته ويُطلان مقولة الأقانيم الثلاثة. فكلف الإمبراطور نيقتاس البيزنطى بالرد عليهما. فقام نيقتاس بتأليف رده الذى وصف بأنه دحض للكتاب المزوَّر- بزعمه الباطل- من قِبَل موعمت Moamet العربى، ويبدو أن نيقتاس لم يكن متضلعًا فى اللغة العربية فقام حسب زعمه بالاطلاع على القرآن، وقام باستعراض سوره من سورة البقرة إلى سورة الكهف، وكل سورة يسميها الأسطورة المحمدية رقم كذا- مثلما هو رقمها فى القرآن- ثم يذكر اسمها. وأصدر حكمه الباطل بأن القرآن يصور الله- جل وعلا- على شكل كروى كامل أو على شكل مطرقة معدنية مطروقة فى السماء، ويبدو أن نيقتاس اقتبس هذا الزعم من المقالة الأسبانية التى سنشير إليها بعد قليل . ثم أخذ يسخر من المسلمين على مناصرتهم لهذا التصور المادى- بزعمه- وقال بأن موعمت (محمد صلى الله عليه وسلم) قاد المسلمين ليعبدوا فى مكة وثنًا مصنوعًا على غرار أفردويت Aphrodite -إلاهة الحب والجمال عند الإغريق- وأنه جعل الشيطان ربًا للخلق، وظل يؤكد على أن دين موعمت Moamet دين وثنى وأن أتباعه مجرد جماعة من الوثنيين . وكان فى كل سورة يناقشها يوجه السب والشتم للنبى صلى الله عليه وسلم- زاعمًا- أنه هو الذى وضع القرآن وشحنه بالأساطير، وأنه أمر أتباعه بقتل من يجعل شريكًا فى جانب الله، ولذلك وقع معظم ذلك القتل على المسيحيين الذين يعبدون المسيح ابن الله - بزعمه- وأخذ نيقتاس يحاول تفنيد بعض نصوص القرآن وقصصه عن طريق مقارنته بنصوص العهدين القديم والجديد، ويبدو فى هذا متأثراً برأى يوحنا الدمشقى، فزعم على سبيل المثال أن إبراهيم الخليل لم يصل إلى مكة ولم يبن الكعبة مثلما ذكر القرآن، لأن سفر التكوين لم يذكر ذلك. كما حاول نيقتاس أن يستدل على صدق عقيدة الثالوث المسيحية ببعض آيات القرآن بتأويلها حسب عقيدته . واختتم حديثه بالتأكيد على أن الذى كان يعبده موعمت Moamet ويدعو إلى عبادته إنما هو

الشيطان نفسه[١٢]. والحق أن كل آراء نيقتاس لاتتعدى هذا الهذيان ، وقد أوردناها لنرى الأثر الذى أسهمت به فى صياغة الرؤية الأوربية تجاه الإسلام والمسلمين خلال العصور الوسطى.

ولم تقتصر الرؤية البيزنطية المغرضة تجاه العرب والمسلمين على الهجوم الحاقد على دينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم، بل إن الاسم الذى أطلقوه على العرب المسلمين يتضمن التحقير والإهانة ، يقول المسعودى عن الإمبراطور البيزنطى نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م / ١٨٦-١٩٥هـ) «وأنكر على الروم تسميتهم العرب، ساراقينوس (Saracens) ، تفسير ذلك عبيد سارة طعنًا منهم على هاجر وابنها اسماعيل وأنها كانت أمة لسارة ، وقال تسميتهم عبيد سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت - أى زمن المسعودى- تسمى العرب ساراقينوس»[١٣].

وهذه الكلمة تنطق باللغة اليونانية المتأخرة - فى العصر البيزنطى- Sarakenos تمامًا مثلما كتبها المسعودى، وفى اللغة اللاتينية المتأخرة - فى العصور الوسطى- Saracenus . وهذه الكلمة هى الشائعة كما هو معروف للمؤرخين - فى سائر المصادر اليونانية واللاتينية التى تتحدث عن العلاقات مع العرب والمسلمين. وتشير قواميس اللغات الأوربية إلى أن Saracen التى تعنى عربى- أو مسلم مأخوذة من سارة زوجة إبراهيم المذكورة فى الكتاب المقدس، وكلمة Sarcasm تأتى بمعنى سخرية أو تهكم وهى تعنى فى القاموس كلمة جارحة ساخرة تهدف إلى الانتقاص من الشىء الذى تُطلق عليه أو الغمز فيه، والفعل الاغريقى الأصلى للكلمة هو Sarkazein ومعناه يعض شفتيه من الغيظ[١٤].

وإذا ما انتقلنا إلى أوربا خلال العصور الوسطى لنفحص الرؤية الأوربية فى تلك العصور تجاه العرب والإسلام، نجد وليبالد Willibad (٧٠٠-٧٨٧م / ٨٤-١٧٠هـ) الراهب الأنجلو سكسونى الذى قام بدور بارز فى تنصير القبائل الجرمانية الشمالية يقوم بحجة إلى بيت المقدس سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠ م ويكتب رواية مفصلة عن إقامته فى بلاد المسلمين الذين وصفهم بالوثنيين Saracen Pagans . وقد دونت الراهبة هيوجيبورك Hugeburc قصة حجته، وروت أنه ذهب فى رحلة أخرى إلى الشرق فلقى مصرعه شهيداً- بزعمها- وليس بسبب تبشيره بالدين المسيحى بين الوثنيين- تقصد المسلمين - بل بسبب تهريب بعض البلسم عبر جمرك صور[١٥].

أما بيده من نورثمبريا Bede of Northumbria فى شمال انجلترا (ت٧٣٥م/ ١١٧هـ) الذى كان معاصراً للفتح الإسلامى للأندلس وللفتوحات الإسلامية فى جنوب فرنسا، فيصف المسلمين باعتبارهم أعداء المسيح عليه السلام، وذلك فى واحد من شروحه للكتاب المقدس. وسار على منواله- فيما بعد- بعض الكتاب الأوربيين فوصفوا المسلمين تكراراً بأنهم أعداء المسيح والمسيحية وأنهم «مفعمون بالكرْه نحو الرب»(١٦).

وفى أواخر القرن الثامن الميلادى ، أو أوائل القرن التاسع / أواخر القرن الثانى الهجرى ، ظهرت مقالة فى أسبانيا هى عبارة عن نص هجومى بذىء على النبى محمد صلى الله عليه وسلم عُرفت باسم المقالة الاسبانية عن محمد Spanish Note on Mahmeth ولايعرف كاتبها ويرجح ناشرها دياز Diaz أنها من عمل أحد النصارى المستعربين . والمقالة تصوِّر النبى محمد صلى الله عليه وسلم بصورة مجافية للذوق ومعاكسة تمامًا لصفاته، فتزعم- زوراً وبهتانًا - أنه كان كاذبًا مبتدعًا شهوانيًا ، وأنه دعا عربه المتوحشين إلى أن يتخلوا عن الوثنية ، وأن يعبدوا إلهًا ماديًا فى السماء على شكل كرة مادية Deum Corporeum . وتزعم هذه المقالة الزائفة أن إبليس ظهر لمحمد Mahmeth مدعيًا أنه الملك جبريل، وأخبره أن الرب أرسله ليبشر العرب بما كان قد سمعه فى مدارس المسيحيين ويدعوهم إلى عبادة ذلك الإله المادى فى السماء وهَجْر عبادة الأوثان. وتزعم المقالة البذيئة أن ماهميث Mahmeth عندما مات تعفنت جثته فقامت الكلاب بالتهام الجثة العفنة (١٧).

وجدير أن نشير هنا إلى أن جميع الكتّاب الذين كتبوا عن محمد صلى الله عليه وسلم بصورة شديدة الطعن لم يستطيعوا أن يلفظوا أو يكتبوا اسمه بشكل صحيح فلانجد فى اسمه حرف الدال D الذى يُعد ركنًا أساسيًا فى اسمه . والحرف موجود فى اللغة اليونانية ، واللاتينية وسائر اللغات التى تفرعت منها. فهم يشتمون ميوميث Muameth وموعمت Moamet، وماهمث Mahmethe ، وما هوميث Mahometh ، وماكميتوس Macome-tus ونحو ذلك . وهذا يُذكِّرنا بنزول سورة (تبت يدا أبى لهب وتب) حين جاءت أم جميل بنت حرب، امرأة أبى لهب، وهى تُنشد : مُذَمَّمٌ أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا » ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد ومعه أبو بكر رضى الله عنه، فسألت أبا بكر إن كان النبى قد هجاها ، فنفى ذلك. وكان الكفار من قريش من شدة كراهيتهم للنبى صلى الله عليه وسلم لايسمونه باسمه الدال على المدح فيعدولون إلى ضده فيقولون مذمم ، وإذا ذكروه بسوء قالوا فعل الله بذمم ، ومذمم ليس هو اسمه ولايُعرف به فكان الذى يقع منهم فى ذلك

مصروفًا إلى غيره. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يفرح لأن المشركين يسبون مذمّمًا فيقول : «ألاتعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنَهم ؟ يشتمون مُذَمَّمًا ، ويلعنون مُذَمَّمًا ، وأنا محمد»[١٨]. وهكذا سار أولئك الكتّاب الأوربيون وغيرهم على خطى كفار قريش فهم يشتمون موعمت ومومیث ، وماهمت، وما هوميث، وماجوميث ، وماكميتوس، حيث صُرِفوا عن اسمه الحقيقى الدال عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة ٨٥٨م / ٢٤٤هـ انتقل من قرطبة ، فى أسبانيا إلى غرب أوربا نص عن آلام المسيح، كتبه ثلاثة من النصارى الأسبان هم جورج Georg وأورليوس Aurelius وناثاليا Nathalia . واشتمل النص على هجوم حاقد على العرب والإسلام ونبى الإسلام، فوصف الإسلام بأنه العقيدة الضالة ، وخدعة الشيطان الماكرة ، وأن الإسماعيلية (أى العرب أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام) يُبَجِّلون نبيًا كاذبًا ، صدَّقوا أنه من خلاله يكون طريق الخلاص، وأن نبى المسلمين إنما هو - بزعمهم- غادر بطبعه ومؤمن بإبليس ، وهو وكيل المسيح الدجال، والمستنقع لكل الرذائل ، والذى سوف يُلقى به فى جهنم ، ومن خلال تعاليمه العقيمة، كتب على أتباعه عذاب النار السرمدى وأن الذى تراءى له في هيئة ملاك إنما هو الشيطان[١٩].

ويمكن فى ضوء هذه النصوص المقيتة وأمثالها أن نتصور مدى ما يمكن أن تحدثه فى المجتمع الأوربى من تعصب وكراهية للإسلام والمسلمين ، الأمر الذى يفسر الكثير من الفظائع والمذابح التى ارتكبها الأوربيون بحق المسلمين سواء فى المناطق التى استولوا عليها من المسلمين فى الأندلس أو فى جزائر البحر المتوسط أو فى بلاد الشام عند مجىء الحملة الصليبية الأولى .

ونجد رؤية كارولنجية مغرضة عن الإسلام والمسلمين عند الكاتب اللاهوتى الكارولنجى باسكاسيه رادبرت Paschasius Radbertus الذى كتب فى منتصف القرن التاسع الميلادى/ الثالث الهجرى، رسالة يفسر فيها الآيات ١١-١٤ من الإصحاح الرابع والعشرين من انجيل متّى التى يقول نصها : «ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرين. ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة ، شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى». فقام باسكاسيه بشرح هذه الآيات وضرب الأمثلة بالمسلمين. فزعم أنهم قد ضلّوا بواسطة بعض الأنبياء الكذابين ، وأنهم ألفوا لأنفسهم شريعة من العهدين القديم والجديد، وأفسدوا كل شىء بدعوى عبادة الله الواحد

الأحد. بحيث أصبحوا غير مستعدين للإتفاق لا مع المسيحيين ولامع اليهود فى أية نقطة . وأن طموحهم يتجه إلى إخضاع العالم بأسره تحت حكمهم . ثم يشير بصورة ملتوية إلى تسامح المسلمين مع رعاياهم ومنحهم الحرية الدينية لهم فيقول: إنهم لايبالون بعبادة الناس للرب وفق عقيدتهم طالما أنهم يُذعنون لحكمهم . ثم يزعم أن المسلمين اتخذوا لأنفسهم طريق الإثم. وأن المسيح الدجال سوف ينزل أو يولد عن طريقهم (٢٠).

وبعد سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٣م أصبح فى مقدور الكتّاب الأوربيين الكاثوليك أن يقرأوا باللاتينية الكثير من المزاعم الباطلة عن وثنية المسلمين ، والتى أصبحت الموضوع البارز فى الهجمات البيزنطية الجدلية المضادة للإسلام والمسلمين ، بما فيها مؤلفات يوحنا الدمشقى وثيوفانس ونيقتاس وجرمانوس وغيرهم. ذلك أنه فى تلك السنة شرع أنسطاسيوس Anastasius- أمين مكتبة البلاط البابوى- وأبرز شخصية ماكرة فى روما فى منتصف القرن التاسع الميلادى/ الثالث الهجرى- فى ترجمة أعمال المجمع المسكونى لسنة ٧٨٧م/ ١٧١ هـ الذى قرر العودة إلى عبادة الأيقونات، وتضمنت أعماله وصفًا للدور الإسلامى فى تحطيم الصور والتماثيل الدينية. كما ترجم ما كتبه جرمانوس من القسطنطينة، وثيوفانس . وكل ذلك أدمجه أنسطاسيوس فى مؤلف بعنوان Chronographia Tripertita - ولاتزال توجد من هذا المؤلف مخطوطات عديدة- ويقدِّم أنسطاسيوس بعض تعاليم شريعة المسلمين، مثل مساعدة المريض وزيارته، والتآخى بين الناس وأن يحب المرء للآخرين ما يحبه لنفسه. ويذكر أنسطاسيوس أن الإسلام يحث أتباعه على شن الحرب المقدسة ووعد من يقتل عدوه أو سقط أمامه بالملذات الجسدية فى جنة الفردوس . ويقدِّم أنسطاسيوس عقيدة بوصفها هرطقة ، متبعًا فى ذلك رؤية الكتّاب البيزنطيين (٢١).

أما الراهبة الألمانية روتسفيثا من جاندرشيم Hrotsvitha of Gander sheim المتوفاة حوالي سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م ففى ترانيمها لتمجيد مريم العذراء، ترجمت لشاب غالى يُدعى بيلاجيوس Pelagius ، كان قد اشترك فى فتنة المستعربين في قرطبة ، وأعدمه المسلمون بسبب تهجمه على الإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، ورفعته الكنيسة إلى درجة قديس ، فترجمت له روتسفيثا تحت عنوان «آلام القديس بلاجيوس» وفى حديثها عنه صوَّرت المسلمين على أنهم وثنيون حقيقيون يعبدون أصنامًا مصنوعة من الذهب والرخام، وتذكر فى حديثها أن المسيحيين فى أسبانيا ممنوعون بسبب عقوبة الموت أن يسبوا الآلهة المصنوعة من الذهب التى يعبدها الحكام المسلمون(٢٢).

وفى رسالة بعث بها البابا جريجورى السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م / ٤٦٥-٤٧٨هـ) سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م إلى الأمير روجر صاحب صقلية حثه فيها على نشر النصرانية بين المسلمين الذين وصفهم البابا بالوثنيين (٢٣).

وحين قام البيازنة والجنوية وحلفاؤهم فى سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٧م بحملتهم المشهورة على شمال افريقية ، ظهرت قصيدة لشاعر بيزى مجهول يُمجد فيها انتصار قومه على المسلمين الذين حلّت بهم الهزيمة ، فيصف الشاعر المسلمين بأنهم كانوا- بزعمه- يتضرعون إلى ماكومات Machumat - يقصد محمد صلى الله عليه وسلم- الذى بخيانته قذف كل العالم إلى الفوضى، والذى ابتدع هرطقة أقوى من هرطقة آريوس، لأنه لايعتقد فى الثالوث ولايؤمن بيسوع باعتباره كلمة الله (٢٤).

ويضيف البابا اربان الثانى (١٠٨٨-١٠٩٩م / ٤٨١-٤٩٢هـ) وصفًا جديداً للمسلمين فيصفهم بالهمجيين والوحشيين، وذلك فى رسائله التى كان يبعث بها منذ سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م إلى الأمراء والفرسان بهدف تعبئة الأوربيين لمصلحة الحرب الصليبية التى أثارها. وزعم فى تلك الرسائل أنه ينبغى عليهم تحرير الكنائس الشرقية من الهمجيين المسلمين الذين أنزلوا- بزعمه- الاضطهاد بالمسيحيين (٢٥). ويظهر صدى رؤية البابا أربان الثانى فيما قاله الشقيقان جيوفريدو Gaufredus وجيوجو Guiogo عندما باعا منزلهما فى ٢٤ أغسطس ١٠٩٦م إلى دير القديس فيكتور Victor بمرسيليا «لكى يذهبا مع الحملة الصليبية إلى بيت المقدس، بهدف الحج، وبحماية الرب. يخمدان الحماسة البغيضة للوثنيين- بزعمهم- الذين اندفعوا إلى الخارج نحو شعوب مسيحية لاتُحصى يقمعونهم ويأسرونهم ويقتلونهم بغضب وحشى»(٢٦).

ولم تقتصر تلك الرؤية على رجال الدين بل نجدها حتى بين العلمانيين، فقد ذكر المؤرخ النورمانى أوردريك فيتاليس Ordericus Vitalis أن أديل Adele ابنة وليم الفاتح وزوجة ستيفن كونت بلوا Stephen of Blois ، الذى فر من أمام أسوار انطاكية زمن الحملة الصليبية الأولى، ولحقه العار بسبب فراره، أخذت أديل تضغط عليه حتى يشترك فى حملات سنة ١١٠١م/ ٤٩٤هـ ومما قالته له : استجمع الشجاعة دفاعًا عن ما كنت معروفًا به فى شبابك، وخذ قواتك فى قضية نبيلة من أجل إنقاذ آلاف المسيحيين نظراً لما واجهوه من فظاعة الوثنيين والإذلال الشهير لدينهم البغيض (٢٧).

أما لاندولف ساجاكس Lendulf Sagax الذى اعتمد على ترجمة أمين المكتبة البابوية أنسطاسيوس لرواية المؤرخ البيزنطى ثيوفانس فيكرر بعض ما قاله ثيوفانس ، فيقدم النبى محمداً صلى الله عليه وسلم على أنه كان رسولاً زائفًا ثم يقول : إن من تعاليمه أن المسلم الذى يقتل عدوه أو يسقط أمامه يدخل جنة الفردوس ، وأن جنة الفردوس مليئة بالملذات الجسدية ، وأن الناس يجب أن يتحلوا بالشفقة على بعضهم البعض، وأن يساعدوا الضعيف ، ويعودوا المريض(٢٨). ثم يأتى مؤرخ آخر هو فرترولف أوف ميكيلسبيرغ Frutolf of Michelsberg (المتوفى سنة ١١٠٣م/ ٤٩٦هـ) فيعتمد على لاندولف ولكنه يقلل الوصف عن الملذات الجسدية والنعيم بالجنة ، ويحذف تمامًا الإشارة إلى الشفقة أو زيارة المريض ومساعدة الضعيف، التى يمكن للقارىء المسيحى أن يستحسنها و يستبدل ذلك بالقول : إن تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدته ، تبدو سارة وحسنة للمجانين - بزعمه- ويورد سيجيبيرت اوف جيمبلوكس Sigebert of Gembloux (المتوفى سنة ١١١٢م/ ٥٠٦هـ) الإشارات عن الحرب المقدسة والجنة، ويكتم - مثل فرترولف الحديث عن الشفقة والمساعدة ، ثم يضيف على مؤلفه ما يدل على حقده وجهله فيقول : هذا هو محمد الذى يقدم له الوثنيون الألوهية، حتى اليوم. وبذلك يكرر فكرة كانت شائعة بين الكثير من الأوربيين فى العصور الوسطى مفادها أن المسلمين يعبدون محمداً صلى الله عليه وسلم بوصفه إلهًا (٢٩).

أما هيو الفلافيجنى Hugh of Flavigny الذى تصل مؤرخته إلى سنة ١١٠٢م/ ٤٩٥هـ فعلى الرغم من أنه اعتمد كثيراً على مؤرخة أمين المكتبة البابوية أنسطاسيوس ، فإنه عند حديثه عن الإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ساق بعض العبارات النابية التى يبدو أنه استقاها من المقالة الأسبانية، ثم يشير- معتمداً على أنسطاسيوس- إلى الحرب المقدسة وإلى الملذات بالجنة ، ويصف النبى صلى الله عليه وسلم- الذى يسميه موهمت Mu-hamet بالرسول الكاذب، ويزعم أنه أورد آيات من العهدين القديم والجديد فى الشريعة الجديدة التى جاء بها(٣٠).

على أن مثل هذا الجهل المطبق بالإسلام والحقد على نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، الذى ساد بين كثير من الكتاب الأوربيين فى العصور الوسطى، لايعنى أنه لم توجد أبداً كتابات تتصف فى جزء منها بنزر يسير من الفهم والموضوعية عن المسلمين ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد وُجد القليل من الكتّاب اتسمت بعض كتاباتهم بشىء من الفهم ومنهم- على سبيل المثال- جيوبرت أوف نوجنت Gubert of Nogent الذى كتب فى أوائل

القرن الثانى عشر الميلادى فقال : إن المسلمين لايبجلون محمداً صلى الله عليه وسلم باعتباره إلهًا كما يعتقد بعض الناس، بل بوصفه رجلاً عادلاً أرسلت بواسطته الشرائع الإلهية [٣١]. ويتفق مع جيوربرت أو ينقل عنه المؤرخ وليم أوف مالمسبورى William of Malmesbury فيكتب فى سنة ١١٢٧م / ٥٢١هـ أن المسلمين يبجلون محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بوصفه إلهًا مثلما يعتقد بعض الناس، بل بوصفه رسول الرب الأعلى، وفى سنة ١١٣٦م / ٥٣٠هـ يصف وليم أوف مالمسبورى المسلمين واليهود والمسيحيين باعتبارهم مِلَل يختلفون باتجاه الابن لكنهم جميعًا يعبدون الرب الأب الخالق [٣٢]. أما أوتو أوف فرايزنجن Otto of Freisingen فيكتب فى سنة ١١٥٠م/ ٥٤٥هـ مبينًا ارتيابه وشكه فى رواية سمعها مفادها أن المسلمين حاولوا أن يُكرهوا أسيراً صليبيًا على عبادة أصنامهم ، لأنه يعرف أن جميع المسلمين يعبدون الله الواحد[٣٣].

لكن هذه الرؤية المعتدلة تجاه الإسلام والمسلمين ونبيهم صلى الله عليه وسلم لم يُقدَّر لها الانتشار بين معظم الكتاب الأوربيين فى العصور الوسطى فقد ظل الجهل والحقد والتشويه المتعمد هو المسيطر على كتاباتهم . وكان المسلمون فى تلك الكتابات يُصوَّرون على نطاق واسع باعتبارهم وثنيين . فالأستاذ البولونى آزو Azo (١١٥٠-١٢٣٠م / ٥٤٥-٦٢٧هـ) الشهير فى القانون المدنى يكتب فى تعليقه على قوانين جستنيان ، بأن الوثنيين المسلمين- بزعمه- يعبدون آلهة لاتحصى وهى فى الواقع- بزعمه- معبودات من الشياطين [٣٤]. ويتأثر بهذه الرؤية هوستينسيس Hostiensis (١٢٠٠-١٢٧٠م / ٥٩٦-٦٦٨هـ) وهو من المعلقين المشهورين على الفتاوى البابوية فيذكر فى تعليقاته أن المسلمين يعبدون آلهة ومعبودات وعفاريت لاتُعد ولا تُحصى ولايقبلون العهد الجديد ولا القديم [٣٥].

ومن عجب أن هذه الرؤية الخاطئة والجهل الفاضح والتعصب الأعمى تجاه الإسلام والمسلمين يتسرب حتى إلى بعض من شاركوا فى الحرب الصليبية وعاشوا فى الشرق ، يُفترض أنهم عرفوا المسلمين عن قُرب . فعلى سبيل المثال ، فولتشر أوف شارتر Fulcher of Charters الذى شارك فى الحملة الصليبية الأولى، وعاش فى بيت المقدس لأكثر من ربع قرن يزعم أن المسلمين مارسوا الصلاة داخل قبة الصخرة لوثن منصوب يُدعى ماهوميت Mahumet -يقصد محمداً صلى الله عليه وسلم- ثم يشجب ويتهجم على شريعة المسلمين ويصفها بالوثنية[٣٦].

أما وليم الصورى William of Tyre الذى وُلد فى الشرق فى بلاد الشام سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م وعاش حتى عصر صلاح الدين الأيوبى وأصبح أشهر مؤرخ لمملكة بيت المقدس الصليبية ، فيبدو من حديثه عن ظهور الإسلام وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم أنه قد تأثر بالرسالة القبيحة لعبد المسيح الكندى فتبنّى بعض الألفاظ الفاحشة والافتراءات الواردة فيها ، وجاء فى مستهل الكتاب الأول من مؤلفه : «فى زمن الإمبراطور هرقل وطبقًا للروايات والتواريخ الشرقية حققت معتقدات محمد الضارة- بزعمه الباطل- موطىء قدم راسخ لها فى الشرق. وهذا هو أول أبناء الشيطان المُعلن بالكذب أنه رسول مُرسل من الله ، وبذلك أضل بلدان الشرق خصوصًا بلاد العرب. والبذرة السامة التى زرعها اخترقت إلى حد بعيد المناطق التى استخدم فيها خلفاؤه السيف والعنف بدلاً من التبشير والنصح ، لإجبار الناس، مهما كانوا معارضين ، ليعتنقوا المعتقدات الخاطئة للرسول ». وخلال حديثه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصف عقيدة النبى محمد صلى الله عليه وسلم مرة بالزائفة ومرة أخرى بالكريهة[٣٧].

وفى سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤ م أرسل إيمار Aymar بطريرك بيت المقدس وفيليب أوف لي بليسيز Philip of Le Plessiez رئيس الداوية، وألفونسو Alfonso رئيس الاسبتارية ، تقريراً من عكا إلى البابا إنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م / ٥٩٤-٦١٣هـ) عن الأحوال فى الشرق. وذكروا فيه أن المسلمين يزورون يوميًا ويعبدون ربهم محمداً ، تمامًا مثلما يعبد المسيحيون المسيح فى كنائسهم . ولم يستطيعوا فى ذلك التقرير أن يكتبوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم بشكل صحيح فأطلقوا عليه ماجوميث Magometh [٣٨].

وقد بلغت الكراهية للإسلام والمسلمين فى أوربا خلال العصور الوسطى درجة خطيرة ، حتى إنه عندما قامت حركة الترجمة للكتب العربية إلى اللاتينية فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، فى شتى المعارف والفنون ، أخذ المترجمون من مدرسة طليطلة وغيرها يُقدمون موادهم المترجمة بوصفها عربية وليس بوصفها إسلامية ، فهى فى نظرهم : كنوز العرب، وأثار العرب، وأساتذة العربية. لأن كلمة عربى وعربية تُشير إلى عنصر لغوى أو عرقى، أما كلمة إسلامى فهى تشير إلى الدين المنافس للنصرانية، والعدو اللدود لها فى نظر رجال الدين النصارى [٣٩]. ولاشك فى أنه كان لتلك الكتابات التى أشرنا إليها آنفًا وأمثالها، أثرها الواضح فى تنفير النصارى فى الغرب الأوربى من كلمة إسلام وإسلامى،

ولذلك صار لزامًا على المترجمين أن يقدّموا ترجماتهم من كنوز الحضارة الإسلامية فى شتى ميادين العلوم والآداب باعتبارها عربية وليست إسلامية وذلك لتلقى القبول والعناية فى أوربا. ومنهم على سبيل المثال، الأسبانى بدرو ألفونسو Pedro Alfonso الذى كان يهوديًا ثم تنصر فى سنة ١١٠٦م / ٤٩٩هـ ، والذى قام بدور بارز فى ترجمة معارف المسلمين، لاسيما فى مجال الفلك ، إلى اللاتينية . وقد هاجر ألفونسو إلى إنجلترا وعمل طبيبًا فى بلاط ملكها هنرى الثانى وأشرف على ترجمة جداول الخوارزمى التى قام بها الإنجليزى أديلارد الباثى Adelard of Bath . وقام بدرو ألفونسو بتأليف مجموعة قصصية سماها: تهذيب رجال الدين ، Disciplina Clericalis ، وكان هدفه من المجموعة أن تكون فى متناول رجال الدين لاستخدامها فى وعظ الجماهير المسيحية. وجعل قصصه على لسان رجل مسلم أطلق عليه اسم «العربى» حيث جعله يتحدث وهو على فراش الموت فيعظ ابنه ، ويقص عليه العديد من القصص والأمثال . وقد استقى بدرو ألفونسو قصصه عن كتب الأدب العربى مثل «كليلة ودمنة» وغيرها. وهو يصوّر البيئة الإسلامية فى العصور الوسطى، مثل حكاية تاجرين عربيين أحدهما بغدادى والآخر مصرى تحابا فى الله حتى الموت. وقصة عربى من الأندلس ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج فأودع ثروته عند رجل بمصر ، وقصص حجاج عرب يشرعون فى رحلة للحج إلى مكة، وقصص حجاج نصارى يشرعون فى الحج إلى روما. وكل قصص بدرو ألفونسو وحكاياته يُقدمها على أنها عربية ويسلب عنها الصبغة الإسلامية وذلك لكى يجعل لها القبول لدى رجال الدين ولدى الجماهير المسيحية فى أوربا إبان العصور الوسطى(٤٠).

وقد كتب بدرو ألفونسو رسالة زعم فيها أنه يُفَنِّد الإسلام ، واعتمد فيها على رسالة عبد المسيح الكندى فيما يتعلق بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم . ومثلما فعل الكندى فى رسالته عندما جعلها على هيئة حوار يجيب بها على صديقه المزعوم عبدالله الهاشمى، فإن ألفونسو صاغ رسالته على هيئة حوار بين بطرس المسيحى وبين موسى اليهودى، أو بعبارة أخرى. بينه هو عندما أصبح مسيحيًا جديداً، وبينه هو عندما كان يهوديًا فى الماضى . ومثلما فعل الكندى شن ألفونسو هجومًا سفهًا على الإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم. بل يمكن اعتبار رسالة ألفونسو مجرد إعادة صياغة لما كتبه الكندى. وقد حظيت رسالة ألفونسو بانتشار واسع فى أوربا طوال العصور الوسطى ولعبت دوراً مهمًا فى زيادة روح الحقد والتعصب تجاه الإسلام والمسلمين ، وكانت من المصادر الأساسية التى شكلت وجهة النظر

الغربية إزاء الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم منذ القرن الثانى عشر الميلادى وما بعده (٤١).

ومن أعجب وأغرب الآراء تجاه الإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فى أوربا خلال العصور الوسطى تلك التى صدرت عن جواكيم الفلورى (١١٣٥ - ١٢٠٢م/ ٥٢٩-٥٩٩هـ) Joachim of Flora رئيس دير كورازو Corazzo فى صقلية . وأشهر راهب أوربى عاش بالقرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى . وقد زعم أن الروح القدس تراءى له فى يوم سبت من سنة ١١٦٠م/ ٥٥٥هـ وأخبره باقتراب مجىء ملكوت الرب وحدوث التجديد الروحى الكامل للجنس البشرى وانتشار الدين المسيحى فى سائر أرجاء الأرض. وكان أن حازت آراء ومعتقدات جواكيم الفلورى تأثيراً واسعًا على الأجيال التى ظهرت بعده فى أوربا، وكان القائد الملهم للرهبان والمبشرين الفرنسيسكان لاسيما الرهبان الروحيين الذين اتخذوا الفقر والزهد والتقشف وسيلة لتحقيق أهدافهم الرامية إلى نشر الدين المسيحى فى سائر أرجاء الأرض(٤٢). وقد عرف جواكيم الفلورى - بحكم وجوده فى صقلية- أن المسلمين يعتقدون فى إله واحد ويعتبرون محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً وبشيراً ونذيراً . لكنه زعم- زوراً وبهتانًا - أن تعاليم ماهوميث Mahometh مجرد هرطقة تدافع عن الشهوة باعتبارها السعادة العظمى والعطية الإلهية(٤٣). وهذه الرؤية كانت معروفة وشائعة فى أوربا فى العصور الوسطى، سواء من جانب كُتاب سبقوا جواكيم الفلورى أو فيما كتبه النصارى الشرقيون والبيزنطيون وتُرجم إلى اللاتينية فردده الأوربيون فى كتاباتهم . لكن الإضافة الجديدة والعجيبة التى جاء بها جواكيم هى تفسيره للآيات العشر الأولى من الإصحاح الثالث من رؤيا يوحنا اللاهوتى بالعهد الجديد الذى يقول نصه : «ثم وقفت على رمل البحر. فرأيت وحشًا طالعًا من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى قرنه عشرة تيجان وعلى رؤوسه اسم تجديف . والوحش الذى رأيته كان شبه نمر وقوائمه كقوائم دب وفمه كفم أسد وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطانًا عظيمًا . ورأيت أحد رؤوسه كأنه مذبوح للموت وجرحه المميت قد شُفى، وتعجبت كل الأرض وراء الوحش وسجدوا للتنين الذى أعطى السلطان للوحش وسجدوا للوحش قائلين من هو مثل الوحش من يستطيع أن يحاربه. وأُعْطِىَ فمًا يتكلم بعظائم وتجاديف وأُعطى سلطانًا أن يفعل اثنين وأربعين شهراً . ففتح فمه بالتجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين فى السماء. وأعطى أن يصنع حربًا مع القديسين

ويغلبهم وأعطى سلطانًا على كل قبيلة ولسانٍ وأُمّة . فيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم فى سفر حَيوةِ الخروف الذى ذُبح . من له أُذُنٌ فليسمع . إن كان أحد يجمع سبيًا فإلى السبْى يذهب . وإن كان أحد يقتلُ بالسيف فينبغى أن يُقتل بالسيف . هنا صبر القديسين وإيمانهم». ويُفسِّر جواكيم الفلورى تلك الرؤوس السبعة للوحش بأن الرأس الأول يشير إلى هيرود الكبير الأدومى ملك اليهود الذى بنى المعابد للأصنام الرومانية فى فلسطين ، والرأس الثانى إلى نيرون ، الذى اضطهد المسيحيين، والرأس الثالث إلى قسطنطيوس بن قسطنطين الذى اعتنق الآريوسية وناصرها بقوة . أما الرأس الرابع- بزعمه- فهو يشير إلى محمد Mahometh صلى الله عليه وسلم، حيث اضطهد المسلمون تحت حكمه المسيحية فى عصرها الرابع . والرأس الخامس يشير إلى عبد المؤمن، مؤسس دولة الموحدين فى المغرب، والرأس السادس ، هو صلاح الدين، أما الرأس السابع فهو المسيح الدجال الذى وُلد فعلاً - بزعمه- وسوف يجلس على الكرسى البابوى فى روما، وأن عصر ظهور المسيح الدجال وسقوطه سوف يبدأ فى سنة ١١٩٩م[٤٤].

ولم يذهب تفسير جواكيم سدىً فى أوربا إبان العصور الوسطى فقد كان لرؤيته وشرحه أثر حتى على أعلى مستوى ، فنرى البابا إنوسنت الثالث الذى أخذ فى سنة ١٢١٣م / ٦١٠هـ يدعو إلى شن حملة صليبية جديدة ضد المسلمين يشير إلى محمداً صلى الله عليه وسلم (الذى يسميه Machometes) وأتباعه المسلمين هم الوحش ذو السبعة رؤوس الذى طلع من البحر فى رؤيا يوحنا اللاهوتى [٤٥]. وقد انتشرت أفكار جواكيم وتفسيراته بين بعض المبشرين الفرنسيسكان فى القرن الثالث عشر لاسيما الذين وفدوا على الشرق [٤٦]. بل ويمكن أن نلمس بعض صدى تفسير جواكيم الفلورى حتى فى القرن العشرين، فها هو الدكتور صمويل زويمر يصف الإسلام بأنه» الغول العتيد الذى لمدة ثلاثة عشر قرنًا تحدى جيوش الرب القوى»[٤٧]. ليس هذا فحسب ، بل وفى خضم الدعوات التى كان يقوم بها رجال الدين والرهبان فى أوربا خلال العصور الوسطى لشن حرب صليبية جديدة ، كان الخطاب الدينى الموجه إلى الجماهير الأوربية يتضمن تشبيه النبى محمد صلى الله عليه وسلم بالمسيح الدجال، أو الممهد له ، أو باعتباره المسيح الدجال نفسه[٤٨].

ونجد الراهب المتسول وليم الطرابلسى William of Tripoli الذى وُلد وعاش فى الشرق لأبوين مسيحيين، والتحق بطائفة الرهبان الدومنيكان وتعلّم اللغة العربية وقام ببعض

السفارات إلى أرمينية الصغرى وإلى المنصور محمد حاكم حماة ، وبشّر بالنصرانية بين المسلمين الخاضعين للصليبيين فى بلاد الشام، يؤلف فى دير الرهبان الدومينكان فى عكا سنة ١٢٧٣م/ ٦٧٢هـ تعريفًا باللاتينية عن الإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم. وكان هدفه من مقاله تعريف الأوربيين بالإسلام. ويتضح حقده وتشويهه من عنوان المقالة نفسها حيث جعلها بعنوان «بيان بالإسلام ونبيه الكاذب ماهوميت» De Statu Saracenorum de Mahomete Pseudopropheta ويتضح من المقالة أنه استقى بعض موادها من رسالة عبد المسيح الكندى فيشوه سيرة النبى صلى الله عليه وسلم. ويزعم أن أصحابه دونوا ما سمعوه منه كتابًا. وبعد موته أرادوا أن يضعوا كتابًا شاملاً يتضمن كل عقائده وشرائعه . فكلفوا أحدهم للقيام بذلك العمل، فعجز أن يقوم بذلك العمل فى صورة كاملة، فطلبوا من النصارى واليهود الذين اعتنقوا دين ماهوميث Mahomete أن يساعدوه ، فقاموا باختيار نصوص ملائمة من العهدين القديم والجديد، ولفقوا بينها وأدمجوها مع أقوال ماهوميت Mahomete ، فجاء الكتاب على مستوى كبير من الجمال والإعجاز البلاغى. ويبدو أن هدف وليم كان حث الأوربيين على مساعدة المبشرين، فزعم أنه أدخل فى النصرانية وعمد ألف مسلم، وزعم أن شريعة الإسلام على وشك الانهيار والسقوط وأن المسلمين أنفسهم مقتنعون بأن دينهم محكوم عليه بالاندثار، وأنهم أصبحوا كالنعجة الضعيفة التى تتطلع إلى المعمودية، وأنهم على وشك أن يدلفوا إلى حظيرة المسيح (٤٩).

وكان لمقالة وليم الطرابلسى تأثير على وجهة النظر الأوربية تجاه الإسلام والمسلمين فى العصور الوسطى، بدليل اعتماد الرحالة الانجليزى سيرجون ماندفيل Sir Johen Mandeville عليها فى وصفه للإسلام والمسلمين حين قام برحلاته إلى الشرق فى القرن الرابع عشر الميلادى/ الثامن الهجرى(٥٠).

أما ريكولدو أوف مونت كروس Ricoldo of Monte Croce (١٢٤٠-١٣٢٠م / ٦٤٢-٧٢٠هـ) فقد ولد حوالى سنة ١٢٤٠م فى مونت كروس فى جوار فلورنسة فى ايطاليا. والتحق بطائفة الرهبان الدومنيكان فى دير فلورنسة ، وتعلّم حتى صار أستاذاً للفنون والآداب فى دير سانت كاترين Convent of St. Catherine فى بيزا فى سنة ١٢٧٢م/ ٦٧١هـ وعاصر تساقط المعاقل الصليبية ببلاد الشام فى أيدى المسلمين (٥١). وقد سافر إلى الشرق فوصل عكا ثم غادرها فى سنة ١٢٨٩م/ ٦٨٨هـ متجهًا إلى الشمال حيث تجول فى أرمينية.

ثم ذهب إلى قونية فى آسيا الصغرى للتبشير بالكاثوليكية، ثم غادرها إلى تبريز وأمضى فيها ستة أشهر داعيًا إلى الكاثوليكية من خلال مترجم . وهو أول أوربى تغلغل بعمق داخل البلاد الإسلامية. ومن تبريز ارتحل إلى مراغة ثم عاد إلى كردستان فوصل إلى الموصل ومنها اتجه إلى بغداد . وشرع فى تعلُّم اللغة العربية، وقد أجرى اتصالات عديدة مع بعض الطلاب المسلمين الذين استقبلوه بحفاوة فى بيوتهم باعتباره رجل دين لاعلاقة له بالحروب الصليبية المُشَرَعة ضد المسلمين. وحضر حلقات الدروس فى المدارس الإسلامية فى بغداد، وحاول أن يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية إلا أنه شعر بالعجز- فيما يبدو- فتخلى عن محاولته[٥٢]. وخلال إقامته فى بغداد سمع بسقوط عكا فى أيدى المسلمين سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١هـ، وشاهد بعض الأسرى النصارى الذين أرسلوا إلى بغداد وبينهم عدد من الرهبان الدومنيكان ، كما شاهد بعض الغنائم التى وقعت بأيدى المسلمين وجاء بها التجار لبيعها فى بغداد وضمنها بعض الذخائر المقدسة عند النصارى وبعض كتبهم الدينية، فاشترى بعض تلك الذخائر للاحتفاظ بها . وكان لتلك الكوارث التى حلّت بالصليبيين أسوأ الأثر فى نفسه [٥٣]. ويبدو أن سقوط عكا ترتب عليه دخول بعض النصارى فى الإسلام الأمر الذى أصاب ريكولدو بالإحباط فكتب رسالة إنجيلية تتصف بالألم والمرارة الكامنة فى صدره وزعم أنه يوجهها إلى الرب، وفيها يشكو «أنه لادومنيك القشتالى، ولافرنسيس الأسيسى، ولا لويس التاسع، ولا الملوك الآخرين ، ولا البارونات نجحوا فى قهر الحيوان ماكوميت Machomete (لم يستطع كتابة اسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم بشكل صحيح)، بل على العكس تمامًا ، كان مستمراً يلتهم المسيحيين ويكرههم على أن يتبرأوا من دينهم»[٥٤].

وقد كتب ريكولدو أوف مونت كروس مؤلفات مختلفة ضمنها مؤلف أطلق عليه دحض القرآن بزعمه "Confutation Alcorani" وما جاء فى الكتاب من هذيان وتهم مستمدة فى مجملها من رسالة الكندى ويوحنا الدمشقى وثيوفانس ونيقتاس البيزنطى، وما أضافه الكتاب الأوربيون إلى افتراءاتهم عبر قرون، لاسيما وصف المسلمين بالوثنيين ، فيزعم- زوراً وبهتانًا - أن الإسلام مجرد خدعة شيطانية بعدم قدرته على إيقاف انتشار المسيحية ، وأن الوثنيات بدأت تتهاوى أمام المسيحية، وأنه ليس فى مقدوره دحض شريعة موسى وإنجيل عيسى، فابتدع ذلك الدين ليكون وسطًا بين النصرانية واليهودية. وزعم ريكولدو أن القرآن ليس قانون الله، نظراً لأن أسلوبه- بزعمه الباطل- لايطابق الأسلوب الإلهى، الذى لايوجد فيه

سجع ولاعبارات موزونة كتلك التى جاءت فى الكتب المقدسة[٥٥]، أى أن ريكولدو حاول أن يجعل من بلاغة القرآن الرفيعة وإعجازه اللغوى الفريد وسمو عبارته وتفرد أسلوبه دليلاً على عدم صدقه !!! وهذا من أعجب وأغرب الهذيان .

والحق أن ريكولدو مونت كروس لمس وشاهد على أرض الواقع الكثير من الفضائل التى تشبع بها المسلمون بفضل دينهم، ومع ذلك لم يستطع أن يفتح عينيه على حقيقة دين الإسلام الذى أمر بهذه الفضائل (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) من ذلك أنه قال إنه «سوف يتحدث عن أعمال محددة تتصف بالكمال يتصف بها المسلمون ، هى أكثر عاراً على المسيحيين منها مدحًا لأولئك الوثنيين- يقصد المسلمين- فمن الجدير بالثناء والذكر حماستهم للدراسة ، وإخلاصهم فى إيمانهم بدينهم، وخشوعهم فى صلاتهم، وعنايتهم بصومهم ، وشفقتهم بالفقراء، ومواريثهم التى يوصون بها قبل موتهم، والتى يشترطون فيها أن يُفتدى بها الأسرى الذين وقعوا فى أيدى المسيحيين. ما أروع توقيرهم لإسم الألوهية ووقارهم الشديد، واحتشامهم فى مشيهم ، ووقوفهم وجلوسهم ، وعذوبة معاشرتهم للغرباء، وحسن ضيافتهم البالغة حد الكمال، والسلام الذى يصونونه مع بعضهم البعض» ثم يختتم إعجابه بفضائل المسلمين بالقول: «إن هذه الكلمات المذكورة آنفًا لانسجلها لأجل إطراء المسلمين بل من أجل إخجال المسيحيين الذين يكرهون أن يعملوا شيئًا من أجل قانون الحياة، بينما أولئك الملاعين- يقصد المسلمين- يفعلون ذلك من أجل قانون الموت»[٥٦].

وفى الوقت الذى أورد فيه ريكولدو تلك الكلمات السابقة عن سلوك المسلمين وتعاملهم فى واقع الحياة ، شن هجومًا عنيفًا وشرسًا على الشريعة الإسلامية، فرماها بالاضطراب ، والظلام والتناقض وعدم الثبات، وهاجم الفقه الإسلامى لدرجة أنه قال مشيراً إلى ما يتحلى به المسلمون من فضائل : «وهذه الأعمال الصالحة استطاعت أن تحيا داخل ذلك الفقه الغادر بطبعه» [٥٧]. والعجب كل العجب من ريكولدو مونت كروس، هو تفريقه بين عقيدة المسلمين وشريعتهم وبين سلوكهم ، الذى لايمكن أن ينبع إلا من تلك العقيدة والشريعة التى ربتهم وهذبتهم على ذلك السلوك الرفيع الذى أشار إليه ، وهكذا يتضح أن ريكولدو لم يستطع أن يتخلص مما تعلمه ونشأ عليه من حقد وكراهية للإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، تحت تأثير تلك الصورة البشعة التى رسمتها كتابات أسلافه السابقين ، ثم اختلط بالمسلمين، فشاهد ولمس سلوكًا ومعاملة لانظير لهما، فلم يجد مناصًا للتخلص من ذلك

التناقض الذى حصل داخل نفسه سوى بالتفريق بين الإسلام كعقيدة وشريعة وبين تطبيق المسلمين لتلك العقيدة والشريعة فى واقع الحياة.

وقبل أن نختم الحديث عن ريكولدو مونت كروس نشير إلى أن كتابه دحض القرآن -بزعمه- قد أُنتُحلَ فى القرن السابع عشر الميلادى من قبل مستشرق يُدعى الكسندر روس ، كتب كتابًا وجعل عنوانه قرآن محمد - بزعمه- Alcoran of Mohamet وقد أشار الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، إلى أن ألكسندر روس هذا رمى الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأبشع التهم، ثم اضطر إلى الاعتراف بأن عظمة الإسلام تكمن فى روحه ومبادئه وشريعته وأسلوبه فقال : «لو قرأ المسيحيون باهتمام شريعة المسلمين وتاريخهم وتدبروها ، لاستولى عليهم الحياء حين يشاهدون إلى أى حد يحرص هؤلاء المسلمون على عبادتهم ومدى تقواهم وتصدقهم ، وإلى أى حد هم متفانون فى إخلاصهم ، قانتون فى مساجدهم، وإلى أي حد هم مطيعون لرئيسهم الروحى، وإلى أى حد هم مهتمون بمراعاة أوقات الصلوات الخمس فى كل يوم ، حيث يتواجدون مهما تكن مشاغلهم. ما أشد مراعاتهم لصومهم من الفجر حتى المساء طول أيام الشهر بلا انقطاع . ما أكثر تواد المسلمين وتراحمهم، وما أعظم ما يُرى من عنايتهم بالغرباء فى نزلهم ، سواء بالفقير أو النازح المسافر، لو تأملنا عدالتهم ونزاهتهم وسائر فضائلهم الخلقية لخجلنا من جمودنا ، سواء فى عبادتنا أو تراحمنا ، ومن جورنا وإفراطنا وتعسفنا ، فلاريب أن هؤلاء القوم سيقيمون الحجة علينا، ولاشك أن عبادتهم وتقواهم وأعمال الرحمة فيهم هى الأسباب الرئيسية لنمو الدعوة المحمدية» (٥٨). وعندما نتأمل عبارة الكسندر روس هذه نجد أنها عبارة ريكولدو مونت كروس بشحمها ولحمها مع بعض الإضافات والتهذيب والتحوير. وهذا دليل يوضح حقيقة كبرى مهمة لابد من دمغ المستشرقين بها: وهى أن الكثير من كتاباتهم الموجهة لنقد شريعة الإسلام ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم إنما هى آراء منتحلة ومنقولة عن أولئك الكتاب الحاقدين الأوائل ، نقلها المستشرقون فى العصور الحديثة ونسبوها إلى أنفسهم وقدموها فى كتاباتهم، مما يسقط عنها الصفة العلمية المحايدة.

أما ريموندلول (٦٣٣- ٧١٥هـ/ ١٢٣٥-١٣١٥م) أشهر مُنصِّر ارتحل إلى بلاد المسلمين فى العصور الوسطى، فلايقل تأثراً برسالة الكندى عن سابقيه . ففى الفصل السادس من كتابه "Liper de Fine" يؤكد على أنه يجب أن يشتمل الجيش الصليبى المتجه لاسترداد البلاد المقدسة من المسلمين «على طائفة من المبشرين الماهرين الموثوقين، والمعلمين لطرق

الخلاص، رجال ينبغى أن يكونوا ملمين بالقانون والطب والجراحة.. فيعتنون بالمرضى والجرحى، ويتعين على جميع رجال الدين بالطائفة أن يتعلموا اللغة العربية، ويدرسون على وجه الخصوص الكتاب الذى صنفه الكندى لكى يدحضوا دين ماكوميتوس Macometus » [٥٩]- يقصد محمداً صلى الله عليه وسلم- ليس هذا وحسب بل يذكر ريموندلول أنه يجب على المبشرين عند نجاح الحملة الصليبية- التى كان يدعو إليها- وهم يتجادلون مع المسلمين أن يجبروا أولئك المسلمين طوعًا أو كرهًا على أن يقرأوا رسالة الكندى [٦٠]. ويظهر تأثر ريموندلول الشديد برسالة الكندى من انتحاله لبعض فقراتها الباطلة حتى فى مناظراته التى عقدها مع المسلمين فى شمال افريقية، بغية تحويلهم إلى النصرانية فقد قال مخاطبًا المسلمين: «أعدكم إذا أنتم تخليتم عن شريعتكم الشيطانية الزائفة، والتى انتشرت عن طريق السيف والقوة وحدها ، وإذا أنتم قبلتم عقيدتى، فإنى أعدكم بالحياة السرمدية للدين المسيحى الذى انتشر بواسطة التبشير وعن طريق سفك دماء الشهداء المقدسين»[٦١].

ونجد أحد الحجاج الألمان وهو لادولف فون سوخيم Ludolph von Suchem يزور الشرق فى القرن الرابع عشر الميلادى/ الثامن الهجرى ويقيم خمس سنوات بين ١٣٣٦-١٣٤١م/ ٧٣٧-٧٤٢هـ ثم يصف رحلته ويتحدث عن الأمم الشرقية ويكتب مختصراً عن الإسلام يعتمد فيه على ريكولدو مونت كروس، ثم يضيف متحدثًا عن ظهور الإسلام ، أن راهبًا من الطائفة البندكتية يدعى سرجيوس Sergius ، فشل فى الحصول على منصب أو مقام رفيع فى روما، فارتحل إلى الجزيرة العربية- بزعمه- سنة ٦٢٠ م وأملى القرآن (الذى يسميه الترينوم Alte-rianum) على ماجوميتوس Magometus[٦٢] - يقصد محمداً صلى الله عليه وسلم.

والحق أنه قد ظهر كتاب كثيرون كتبوا عن الإسلام فى العصور الوسطى لاسيما فى القرون التالية حتى عصر النهضة الإيطالية ، ولايتسع المجال هنا للإشارة إلى كل كتاباتهم . ولكنها لاتخرج عن الإطار الذى أشرنا إليه . وفى ضوء ما سبق يمكن أن نختم بحثنا بالحقائق التالية:

أولاً : إن الجزء الرئيس من تلك التهم والافتراءات الباطلة التى قال بها الكتاب البيزنطيون والأوربيون فى العصور الوسطى، تُهم قديمة مستهلكة قال بها المشركون من كفار قريش منذ بعثة النبى صلى الله عليه وسلم، فعلى سبيل المثال تهمة أن القرآن إنما هو من عمل الشياطين ، تهمة قال بها المشركون ، فرد الله سبحانه وتعالى بقوله : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) ، ثم أخبر الله جل وعلا على من تتنزل الشياطين فقال : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل

أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) [٦٤]، وقال تعالى : (وما هو بقول شيطان رجيم)[٦٥]. وتهمة أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان رسولاً كاذبًا وأنه هو الذى اختلق وافترى القرآن من عنده، تُهمة قال بها كفار قريش أيضًا وسجل القرآن هذه التهمة الباطلة فقال تعالى: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشيء عجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد. ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق)[٦٦] ورد الله تعالى على هذه الفرية فقال سبحانه : (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [٦٧]. وقال تعالى: (إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله أولئك هم الكاذبون) [٦٨]. وتُهمة أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم تعلم من اليهود والنصارى، تهمة أيضًا قديمة مستهلكة قال بها المشركون حين زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم يتعلم من غلام نصرانى كان فى مكة ، فسجل القرآن تلك التهمة وفندها، قال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) ، وقال تعالى : (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلمًا وزوراً) [٧٠]. وكذلك تُهمة أن القرآن أساطير الأولين وأنها أمليت عليه تهمة قال بها كفار قريش . قال الله تعالى : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تُملى عليه بكرة وأصيلاً) [٧١]. وكذلك تهمة أن النبى صلى الله عليه وسلم أضل أتباعه، تُهمة قال بها المشركون فسجلها القرآن الكريم، قال تعالى : (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) [٧٢]. وتُهمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مصابًا بمرض عصبى أو بالجنون تُهمة قال بها كفار قريش وسجلها القرآن الكريم، قال تعالى : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون) [٧٣]، وقال سبحانه : (وقالوا يا أيها الذى نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون) [٧٤]. والأمثلة على ذلك كثيرة فى القرآن الكريم ، ولإثبات تفاهة تلك التهم تحدى الله سبحانه وتعالى المشركين أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله ، وثبت عجزهم ، بل العجز قائم على كل البشر إلى الأبد، قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) [٧٥].

ثانيًا : أن فى تلك الشتائم والافتراءات التى قال بها الكتاب ورجال الدين الأوربيون طوال العصور الوسطى وما تلاها ، دليل ساطع على صدق القرآن وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ذلك أن القرآن أخبر بذلك الأذى الذى سوف يسمعه المسلمون من أهل الكتاب قبل وقوعه، قال تعالى: (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) [٧٦]. فهذه الآية تحوى إعجازاً تاريخيًا فريداً إذ أخبرت بحوادث ووقائع تاريخية لم تكن قد حدثت عند نزولها على النبى محمد صلى الله عليه وسلم. وما أوردناه فى هذا البحث يكشف جزءاً مما أخبرت به الآية فقد اطلعنا على قسم من ذلك الأذى الكثير الذى أخبر الله سبحانه وتعالى المسلمين أنهم سوف يسمعونه من أهل الكتاب. وهذا أمر واحد من أمور كثيرة أخبر القرآن الكريم بأنها ستقع ووقعت فعلاً، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بحوادث ستقع ووقعت فعلاً مثلما أخبر.

ثالثًا : إن الكثير من ما كتبه المستشرقون فى العصور الحديثة ، حول ظهور الإسلام ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما أوردوه فى تلك الكتابات من مزاعم باطلة ، مثل دعوى أن الإسلام انتشر بحد السيف وأن محمداً صلى الله عليه وسلم تعلم من بعض الرهبان مثل الراهب بحيرا، أو أنه اطلع على العهدين القديم والجديد، وما حوته كتاباتهم من نقد للقرآن ولشريعة الإسلام ووصفها بالاضراب وعدم الثبات . إنما هى تهم منقولة ومنحولة عن كتاب العصور الوسطى ، ويمكن مقارنة ما كتبه المستشرقون مع تلك التهم القديمة لتنكشف الحقيقة (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

وفى الختام لابد من طرح هذا التساؤل وهو:

هل أسهمت تلك الرؤية الأوربية الوسيطة فى صياغة الرؤية الغربية المعاصرة تجاه العرب والإسلام؟؟؟

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

الهوامش

1- D. J. Sahas, John of Damascus on Islam : " The Heresy of the Ishmaelites " Leiden. 1971; B. Kotter, editor: Die Schriften des Johannes Von Damaskos, vol . 4 , Liber de haeresibus: Opeera Polemica, Patristischo Texte und Studien 22. New York, 1981 , p. 16 .

2- Kedar, Benjamin Z, Crusade and Mission European Approaches Toward The Muslims, (Princeton, 1988), pp. 39-40 .

3- The Encyclopaedia of Islam, New Edition, vol . V, (Leiden 1979), p. 120 .

4- Ibid .

5- J. Munoz Senddino , "Al-kindi Apologia del Cristianismo" in Miscelnea Comillas, 11-12 . Comillas, Santander , 1949, pp. 337-460 ; W. Muir, The Apology of Al Kindi Written at the Court of Al Mamun in Defence of Christianity Against Islam. London , 1882 , p. 17-58 ; G. Troupeas, Literature Arabe Chretienne du X au XII Siecle, " Cahiers de Civilisation medievale 14 . 1971 , pp. 1-20 .

6- Gottron , A Ramon Lulls Kreuzzugsideen . (Berlin and Leipzg, 1912), p. 88 .

7- The Encyclopaedia of Islam, vol . v, p. 121 .

8- Munoz Sendino , Op. cit ., pp. 422-423 .

9- Vasiliev, A.A., "The Iconoclastic edict of Caliph Yazid II, A.D , 721 in Dumbarton Oaks Papers, No . 9-10 (1956) , pp. 24-47 .

10- Kedar, Op. cit., p. 33 .

11- Theophanis, Chronograhia, im Corpus. Scriptorom Historiae Byzantinae , (Bonnae, 1839), pp. 514-527 .

12- Nicetae Byzatini Philosophi Confutatio Falsi Libri Quem Scripsit Mohamedes Arabs, in PG 105 : 707 - 708 , 775-779, 793; Meyendoff, J, " Byzantine Views of Islam "

Dumbarton Oaks Papers 18 (1964), pp. 121-124 ; Khoury , A, " Polemique Byzantine Contre L'Islam (VIII- XIII's), Leiden , 1972, pp. 338-341; Eichner, W, " Die Nachrichten uber den Islam bei den Byzantinern ", Der Islam 23 (1936), pp. 234-241 ; Kedar, Crusade and Mission, p. 21 .

١٣- المسعودى: التنبيه والإشراف، ص١٤٣ .

١٤- انظر القواميس التالية:

Webster's Third New International; Dictionary of the English Language , London , 1961; Webster's Seventh New Collegiate Dictionary, Springfield, Messachsetts, U.S.A., 1965 ; The Shorter Oxford English Dictionary, Oxford, 1964 ; The ; American College Dictionary, New York, 1965 .

15- Vita Willibaldi episcopi Eichstensis, Editors, O. Holder- Egger (1887) in MGH SS 15 , i : 86-106, pp. 94-95 .

16- Venerabilis Bedae Opera Quae Supersumt Omnia , Editor , J.A. Gile, vol . 8)London , 1844), p. 185 ; Registrum Johannis Papae VIII, Rditor . E. Caspar (1928) in MGH Epist. 7 ; 20, 29 204, 267 -268 .

17- M.C. Diaz Y Diaz, " Los Textors Antimahometanos mas antiquos en Codices Espanoles", Archives D'histoire Doctrinale et Litteraire du Moyen Age 45 (1970), pp. 153, 157-159 .

١٨- صحيح البخارى (فتح البارى) ط. القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، جـ٦ ، حديث رقم ٣٥٣٣، ص٦٤١، ٦٤٥ ؛ أكرم العمرى: السيرة النبوية الصحيحة، ط. المدينة المنورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢، جـ١، ص١٤٧-١٤٨ .

19- Kedar , Op. cit., pp. 31-32 .

20- Paschasius Rabdertus, Expostio in Matheum , BN lat. 12298 (Sec. XII), Fol 8 Lv. Pl 120 : 804 .

21- Anastasius Bibliothecarius, Chronographia Tripertia, in Theophanis Chrongraphia,

Editor . C. de Boor, 2, pp. 31-346; Laehr, G, " Die Briefe und Prologe des Bibliothekars Anastasius "Neues Arhiv der Gesellschaft fur Altre Deutsche Geschichtskunde 47 (1927-1928), pp. 429-432 .

22- Passio , S. Pelagii, Lines 56-58 , in Hrotsvithae Opera, Editor, P. Winterfeld (1902), in MGH Scr. Gerrn. 34 : 53 ; M. Gonsalva Weigand, Trans, The Non- Dramatic Works of Hrostvithea (St. Meinard, 1936), p. 131 ; Kedar, Crusade and Mission , p. 10.

23- Das Register Gregors VII, Editor, E. Cas ar (1920), in MGH EPP. Sel 2.1 : 272 .

24- Kedar, Op. cit., pp. 85-86 .

25- H. Hagenmeyer, Die Kreuzzugasbriefe aus den Jahren 1088-1100: Eine Quellen-sammlung Zur Geschichte des Ersten Kreuz- zuges (Innsbruck, 1901), pp. 136-138 .

26- Cartulaire de labbaye de Saint - Victor de marseille, Editor. B. Guerard, vol . I (Paris, 1857), P. 167 ; Recueil·des Chartes de L'abbaye de Cluny , Editors. A. Bernard and J. Vaissete, Histoire General de Languedoc, vol . 5 (Touloude, 1875), p. 748 .

27 - Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History of England and Normandy, Translated by Thomas Forster (London, 1853 - 1860), 10, p. 119 .

28 - Landulfus, Sagax, (Historia Romana) , Editor. A. Crivelucci, Vol. I (Rom, 1912), p. 134; Kedar, Crusade and Mission, p. 86 .

29 - Kesar : op. cit., p. 86 .

30 - Hugh of Flavigny, Chronicon, Editor, G.H.Part (1848), in MGh SS8. p. 323 .

31 - Guibert of Nogent, Gesta Diper Francos , I, 3, in RHC. Hocc. 4. p. 130 .

32 - William of Malmesbury, Digest of Aimoin, exerpt, Edited in R.M. Thomason, " William of Malmesbury and Some Other Western on Islam " Medievalia et Humanistica NS 6 (1975), pp. 181 - 182 .

33 - Ottonis episcopi Frisingensis Chronica sive, Historia de duabus civitatibus, VII, 7, Editor, A. Hofmeister (1912) , in MGH, Scr. rer. Germ. 45 : 317 .

34 - Azo , Summa Aurea, to Cod. I.II (Lyons, 1557), Col. 7a, CF. Russel, The Just War, p. 51 .

35 - Hostiensis, Summa Aurea, to 5.5 (Venice, 1574), Col. 1523 .

36 - Fulcher of Chartres, A History of The Expidition to Jerusalem (1095-1127) tran, by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) ed. with An Introduction by H.S. Fink. Konsville, 1969. pp. 118, 122 .

37 - William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea.2 Vols. Translated by Emily and Babcok and A.C. Khey (New Yoek, 1976), Vol. I, pp. 60 - 61 .

38 - Throop.P.A., Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda (Philadelphia, 1975), pp. 8-10 .

39 - Metlitzki, Dorothee, The Matter of Araby in Medieval England (London, 1977), pp. 29, 49 , 54 , 259 note 100, 260 note 134; C.S.F. Burnett, A Group of Arabic - Latin Translators Working in Nortern Spain in the Mid-Twelfth Century, " Journal of Asiatic Society, 1977" p. 90 .

Pedro Alfonso, Disciplina Clericalis, Editors A. Hilka and W. Soderhjelm, Acta Societatis Scientiarum Fennicae, 38, 4 (Helsinki, 1911), pp. 14 - 29; H. Naumann, " Der Wilde and der edle Heide" in Vom Werden des deutschn Geistes : Festgabe Gustav Ehrismann, Editors. P. Merker and W. Stammler (Berlin and Leipzig, 1925), pp. 80 - 101 .

41 - Corpus Scriptorum Muzarabicorum, Editor J. Gil, 2 Vols. (Madrid, 1973), 1 , 281 - 282 (≐ PL 157 : 595 - 606) .

42 - Painter, Sidney, A History of The Middle Ages, 284 - 1500 (London, 1979), p. 420 ; The Cambridge Meduval History, Vol. VI (Cambridge, 1980), p. 634 .

43 - E. Bonaiuti, Editor, Tractatus Super Quatuor, Evangelia di Gioacchino da Fiore (Rome, 1930), p. 262 ; Joachim of Fiore, Expositio in Apocalypsim (Venice, 1527, Reprint, Frank Furtm , 1964) , pp. 10d, 130A, 163C, 167d.

44 - Joachim of Fiore, Expositio in A Pocalypsim, pp. 10bc, 116c, 134b - 135a, 162d-165a, 196a, 197a ; Benedict of Peterboroygh, Gesta Regis Henrici II (ed.Stubbus), 2 Vols, Rolls Series (London, 1867), pp. 151-155 .

45 - Allan Cutler " Innocent III and the Distinctive Clothing of Jews and Muslims" in Studies Medieval Culture, Editor. J.R. Sommerfeldt, Vol. 3 (Kalamazzo, Mich, 1970), pp. 92-96.

46 - Daniel, E.R, The Franciscan Concept of Mission in the High Middle Ages (Lexington, Ky, 1975), pp. 87-98 .

47 - Zwemer, S.M., Raymund Lull First Missionary to the Moslems (New York and London, 1902), p. 148 .

48 - Paul Alphandery, " Muhammad - Anticheist dans le Moyen Age Latin " in Melanges Hartwig Derenbourg (Paris, 1909) , pp. 263 - 265 .

49 - William of Tripoli, " De Statu Saracenorom et de Mahomete Pseudoupropheta " in H.Prutz, Kulturgeschichte der Kreuzzuge (Berlin, 1883), pp. 575 - 598 .

50 - Mandeville's Travels, Texts and Translations, Editor M. Letts, Haklyt Society, 2, 101 - 102 (London, 1953) Vol.2, p. 453 .

51 - Atiya. Aziz. S, The Crusade in The Later Middle Ages, (New York, 1970), pp. 158 - 159 .

52 - Baldwin. Marshal, W, " Missions to The East in The Therteenth and Fourteenth Centuries " in Setton. K.M, A History of The Crusades, Vol. V (Wisconsin, 1985), pp. 463-464 .

53 - Atiya, op. cit, p. 159 ; Marshal, op. cit., p. 464 .

54 - Rohrict. R, Editor, " Lettres de Ricoldo Mont Croce" Archives de L'Orient Latin 2 (1884)pp. 268-269 .

55 - Fratris Ricoldi de Monte Crucis Liber Pergrinacionis, in J.C.M. Laurent, Editor, Peregrinatores medii Quaturo (Leipzig, 1864), pp. 130 - 135; Rohrich, " Lettres de Ricolde de Monte Croce AOL, 11-2 (1884), pp. 258-296.

56 - Fratris Ricoldi de Monte Crucis, op. cit., pp. 131 - 135 .

57 - Ibid; Baldwin, op. cit., p. 465 .

٥٨ – سعيد عبد الفتاح عاشور : الإسلام والتعريب ، فى كتاب " بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته " ط . القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ١٣٠ ، ١٥٥ ، حاشية رقم ٢٩ ، ٣٠ .

59 - Gottron, A. " Ramon Lulls Kreuzzugsideen", p. 88 .

60 - Kedar, op. cit, p. 195 .

61 - Zwemer, op. cit., p. 109 .

62 - Atiya, op. cit., pp. 168 - 171 .

٦٣ - الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢ .

٦٤ - الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣ .

٦٥ - التكوير : ٢٥ .

٦٦ - ص : ٤ - ٧ .

٦٧ - يونس : ٣٧ - ٣٨ .

٦٨ - النحل : ١٠٥ .

٦٩ - النحل : ١٠٣ .

٧٠ - الفرقان : ٤ .

٧١ - الفرقان : ٥ .

٧٢ - المطففين : ٢٩ - ٣٢ .

٧٣ - القلم : ٥١ .

٧٤ - الحجر : ٦ .

٧٥ - الإسراء : ٨٨ .

٧٦ - آل عمران : ١٨٦ .